حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٥٣) ٢٠١٤/٠٨/١٧ م

www.al-badeel.org

Issue (153) 17/08/2014

الانكسار الإيراني في العراق وآثاره على سوريا

حسام ميرو

عملت إيران على مدار سنوات الاحتلال الأمريكي في العراق وما بعدها على بسط نفوذها السياسي والأمني، وحاولت بشتى الوسائل عدم التخلي عن ذلك النفوذ رغم اختلال المعادلات في المنطقة، وتحولها إلى منطقة صراع، وتفتت الدولة الوطنية في العراق وسوريا.

منذ عام 1979 بدأت إيران بمشروع تصدير الثورة في العالمين العربي والإسلامي، وتمكنت عبر تحالفاتها من توسيع رقعة نفوذها، وعلى الرغم من حربها مع نظام صدام حسين (حرب الخليج الأولى 1980–1988) التي استنفدت الكثير من إمكاناتها إلا أنها بقيت مصرة على متابعة مشوارها في مد نفوذها في المنطقة، لكي تكون لاعباً استراتيجياً في تحديد مصائر المنطقة برمتها، مستفيدة من تراجع المشروع العربي، حتى أنها أسهمت خلال سنوات "الربيع العربي" المنصرمة في حرف مسار هذا الحراك التاريخي، بالإضافة إلى قوى إقليمية أخرى.

فتحت إيران على نفسها وعلى حلفائها جبهات عدة، ففي العراق رفضت في عام 2010 نتائج الانتخابات العراقية، وفرضت المالكي رئيساً للوزراء على رغم فوز إياد علاوي آنذاك (القائمة العراقية)، وقد أقصى المالكي خلال ولايته الثانية (2010–2014) خصومه السياسيين من السنة والشيعة، ممسكاً بزمام السياسة والأمن والجيش، من دون أن يأخذ بعين الاعتبار تنامي مظلومية قطاعات واسعة من الشعب العراقي، واستياء دول الخليج من وقوع العراق تحت الهيمنة الإيرانية، وهو ما يخل بتوازنات منظومة الأمن والسلام في المنطقة، خاصة وأن إيران الطامحة لأن تكون دولة نووية لن تكتفي بنفوذها على العراق، بعد أن كانت قد ضمنت سوريا، وإلى حد كبير لبنان عبر سيطرة حزب الله، وإنما ستحاول أن تمد نفوذها إلى دول الخليج العربي نفسها.

عانت إيران وما زالت من سيطرة الأيديولوجيا المتمثلة بولاية الفقيه، على الرغم من مظاهر التعددية الداخلية، والانتخابات، وسَعت عبر وسائل منظورة وغير منظورة أن تبني لها حلفاء في كامل المنطقة، وليس خافياً على المتابعين أنها تدير شبكات واسعة من اقتصاد الظل في المنطقة، لكن كل ذلك كان على حساب الداخل الإيراني من جهة، وعلى حساب القوى الأخرى في المنطقة، وهي بلامبالاتها بمصالح الدول الإقليمية جعلت الكثير من الدول تستشعر الخطر الإيراني، وتعمل على إجهاضه.

وأخيراً، وبعد كل مآسي المشهد العراقي، اعترفت إيران بأن التمسك بالمالكي لم يعد يجدي نفعاً، وأن تنحي المالكي هو السيناريو الأفضل لعدم التفريط بكامل مكتسباتها، فهي بعد أن أخفقت بالترويج للمالكي على أنه شريك في عملية مكافحة الإرهاب، لم يعد أمامها سوى التخلي عنه، فقد سيطر تنظيم الدولة الإسلامية بمساعدة قوى وعشائر وضباط سابقين في الجيش العراقي على مناطق واسعة من العراق، وبات قريباً من العاصمة، وأكثر من ذلك، فقد قطعت سيطرة تنظيم الدولة على المثلث السني خط التواصل البري مع سوريا، وبالتالي مع حزب الله.

ماذا ستفعل إيران في سوريا؟ وهل ستبقى متمسكة بالأسد أم أنها ستستفيد من الدرس العراقي؟.

راوغت إيران سنوات طويلة في ملفها النووي، وهي اليوم تسعى إلى تسويته مع الغرب بعد أن نال اقتصادها ضربات قاسية تحت وطأة العقوبات الأمريكية والغربية، وها هي اليوم تقدم تنازلاً مهماً في العراق تحت وطأة تنظيم "الدولة" وتحالفاته، لكنها ما زالت تمانع حلاً سياسياً ينهي المأساة السورية، كما تحاول عدم تقديم تنازلات في لبنان.

هل سيكون بإمكان إيران أن تكون دولة طبيعية في المنطقة أم أنها ستستمر إلى ما لا نهاية في منع نشوء منظومة أمن واستقرار جديدة في المنطقة؟.

إن بنية النظام الإيراني الأيديولوجية التي منعته من رؤية التحولات في العراق، وتأجيل الحلول، هي التي ما زالت تمنعه من رؤية إمكانية نشوء توازنات جديدة في المنطقة تقوم على تقاسم المصالح، وليس على الاستفراد بالنفوذ، وتمنعه من السعي إلى التحول إلى دولة طبيعية، تقوم بتحقيق مصالحها عبر الاقتصاد والتعايش مع جيرانها، عوضاً عن خوض الحروب بالوكالة.

لقد خسرت إيران في العراق، وانكسرت إرادتها في الهيمنة عليه كاملاً، فهل ستفكر بالحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من مصالحها في سوريا؟.

6 أشخاص من «داعش» و«النصرة» ومموليهم تحت «الفصل السابع»

استهدف مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة متشددين إسلاميين في العراق وسوريا يوم الجمعة الماضي، بإدراج ستة منهم، بينهم المتحدث باسم جماعة الدولة الإسلامية، في القائمة السوداء، وبالتهديد بفرض عقوبات ضد من يمول أو يجند أو يزود المتشددين بالسلاح.

ووافق المجلس المؤلف من 15 دولة بالإجماع على قرار يستهدف إضعاف الدولة الإسلامية – وهي جماعة منشقة على تنظيم القاعدة سيطرت على مساحات من الأرض في العراق وسوريا، وأعلنت خلافة إسلامية – وجبهة النصرة، وهي جناح لتنظيم القاعدة في سوريا.

ويدرج مجلس الأمن الدولي جماعة الدولة الإسلامية على القائمة السوداء منذ فترة طويلة، بينما أضيفت جبهة النصرة للقائمة في وقت سابق هذا العام. وتخضع الجماعتان لنظام العقوبات الذي تفرضه الأمم المتحدة على القاعدة.

وذكر بيان مجلس الأمن أسماء الأشخاص الستة الذين سيخضعون لحظر على السفر للخارج، وتجميد أصول وحظر للأسلحة، وبينهم المتحدث باسم جماعة الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني، وهو سوري، وصفه خبراء في الأمم المتحدة بأنه أحد "أمراء الجماعة الأكثر نفوذا" ومقرب لزعيم الجماعة أبو بكر البغدادي.

وجاء في نص القرار أن قرار مجلس الأمن "يدين بأقوى العبارات الأعمال الإرهابية للدولة الإسلامية، وفكرها المتطرف العنيف، وانتهاكاتها المستمرة الجسيمة الممنهجة وواسعة النطاق لحقوق الإنسان، وانتهاكات القانون الدولي الإنساني".

وشملت القائمة أيضا سعيد عريف، وهو ضابط سابق في الجيش الجزائري فر من الإقامة الجبرية في فرنسا في عام 2013 ، وانضم إلى جبهة النصرة في سوريا، والسعودي عبد المحسن عبد الله إبراهيم الشارخ الذي يتزعم جبهة النصرة في منطقة اللاذقية في سوريا.

وتضم القائمة أيضا حامد حمد حامد العلي، وحجاج بن فهد العجمي، وهما كويتيان يشتبه في أنهما يقدمان دعما ماليا لجبهة النصرة. وأدرج عبد الرحمن محمد ظافر الدبيسي الجهني، وهو سعودي في القائمة السوداء، لأنه يشرف على شبكات المقاتلين الأجانب في جبهة النصرة.

وتضمن القرار إدانة تجنيد مقاتلين أجانب والاستعداد لإدراج أي أشخاص يقومون بتمويل أو تسهيل سفر المقاتلين الأجانب على القائمة السوداء. وعبر عن القلق لاستخدام عائدات النفط من الحقول التي تسيطر عليها الجماعتان في تنظيم هجمات.

وقال مارك ليال جرانت سفير بريطانيا في الأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن الشهر الحالي بعد إقرار القرار "لا يمكنهم البقاء بشكل مستقل عن العالم الخارجي، وإذا تسنى وقف هذا الدعم من العالم الخارجي فلن يملك هذا التنظيم الموارد لمواصلة أنشطته".

واتخذ القرار ضمن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الأمر الذي يجعله ملزماً للدول الأعضاء في الأمم المتحدة، ويعطي مجلس الأمن سلطة لتنفيذ القرارات بالعقوبات الاقتصادية أو بالقوة. لكنه لا يسمح باستخدام القوة العسكرية للتعامل مع المسلحين المتشددين.

سقوط "المليحة" وخلافات بين "النصرة" وجيش الإسلام

ريف دمشق - البديل:

تمكنت قوات النظام السوري وميليشيات حزب الله يوم الخميس الماضي من دخول بلدة المليحة القريبة من العاصمة دمشق، وسقطت البلدة بيد قوات النظام بعد عام كامل على حصارها، من دون أن تتمكن من استعادتها، واثار سقوط "المليحة" الكثير من الأسئلة حول الخلافات بين الفصائل الإسلامية التي كانت تسيطر على البلدة، وفي مقدمتها جيش الإسلام الذي يقوده زهران علوش، وجبهة النصرة.

تعد بلدة مليحة من أقرب البلدات القريبة من العاصمة، ويبدأ مدخلها الرئيس من منطقة الباب الشرقي للمدينة، وتقطنها غالبية سنية، وبقيت عصية على قوات النظام على الرغم من القصف المتواصل لها، وإلقاء البراميل المتفجرة، وخسر فيها حزب الله على مدار العام الماضي الكثير من مقاتليه في محاولاته المتكررة لاستعادة البلدة.

وأشارت بعض المصادر من "المليحة" أن جيش الإسلام تمنّع عن مؤازرة جبهة النصرة حين حاصرتها قوات النظام، وهو ما أدى إلى اشتباكات بين مقاتلي "النصرة" وجيش الإسلام، حيث اعتبرت "النصرة" أن مقاتلي زهران علوش هم وراء سقوط البلدة بيد النظام، وتمكينه من استعادتها.

وكانت جبهة النصرة قد وجهت خلال الفترة الماضية ضربات موجعة لقوات النظام، حين استهدف أحد انتحاريها مراكز متقدمة للجيش السوري في الحي الشمالي الغربي من بلدة المليحة، وهو ما أعطى "النصرة" نوعاً من الأفضلية في المنطقة على قوات جيش الإسلام، وهو ما قد يفسر امتناع قوات جيش الإسلام عن مؤازرة مقاتلي "النصرة".

وتعد عملية استعادة جيش النظام وميليشيا حزب الله لبلدة "المليحة" أمراً مهماً، حيث تشكل البلدة مدخلاً مهماً إلى الغوطة الشرقية، وهو ما يعزز، أيضاً، من سيطرة النظام على مداخل العاصمة، ومنع المقاتلين الإسلاميين من تهديد العاصمة دمشق، وهو ما حرص النظام عليه دائماً، لما تشكله العاصمة من رمزية عالية على المستوى السياسي.

من جهة أخرى، فإن سقوط بلدة المليحة يبرز بشكل جلي الخلافات الموجودة بين الفصائل الإسلامية التي تقاتل النظام، حيث يسعى كل فصيل إلى فرض سيادته على المناطق التي يسيطر عليها، كما يبرز ضعف التنسيق بين هذه القوى، ورغبة كل فصيل استبعاد الفصائل الأخرى، لما يشكله ذلك من تعظيم لنفوذ التنظيمات.

وفي السياق نفسه، فإن سقوط "المليحة" دق ناقوس الخطر لدى الكثير من الفصائل الإسلامية المقاتلة في ريف دمشق، حيث يستمر التواصل بين هذه الفصائل من أجل إعادة تنظيم صفوفها بشكل أفضل، ورفع معنويات المقاتلين، ومحاولة تجنب الخلافات، لكن مصدر من الفصائل الإسلامية قال: إن الخلافات بين هذه الفصائل ما أن تنتهي حتى تبدأ من جديد، خاصة لتعدد الولاءات لتلك الفصائل، وتعدد مصادر التمويل.

تنظيم الدولة الإسلامية في عيون رعاياه

عصام عطا الله

بعد ثلاث سنوات وعدة أشهر ومئات الآلاف من الشهداء والجرحى والمعتقلين وملايين المهجرين والنازحين والمشردين، يعيش السوريون اليوم هاجس الخوف من المستقبل بقدر الأمل بانتصار ثورة تحقق لهم حياة حرة كريمة، ولا سيما بعد تآمر الشرق والغرب عليها، فالمجتمع الدولي يتدخل في كل مكان لحماية حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب إلا في سوريا.

بدلاً من أن ينعم السوريون بدولة حرة كريمة وجدوا أنفسهم يتنقلون بين دول عدة داخل الدولة الواحدة، فلنظام الأسد دولته، وللثوار على اختلاف مشاربهم دولتهم، ولتنظيم الدولة الإسلامية دولته، ولكل واحد محاكمه وقوانينه و...، وقد يمر المواطن بين الدول الثلاثة ويخضع لقوانينها بيوم واحد.

فرض تنظيم الدولة الإسلامية سيطرته على بقعة كبيرة من سوريا بدءاً من أقصى الشرق السوري من البوكمال إلى ريف حلب الشرقي، وهو الآن يتمدد في الريف الشمالي، فقد سيطر بشكل كامل على الرقة والريف الممتد منها إلى حلب، فقد سيطر على منبج وجرابلس ومسكنة والخفسة والباب وأخترين، وهو الآن بصدد السيطرة على مدن الثورة في الريف الشمالي، مثل مارع، وتل رفعت، وأعزاز.

سيطر التنظيم وقسّم البلاد تقسيمات إدارية سماها ولايات، عيّن عليها أمراء، وأخذ يخطط ويرسم للبقاء كدولة مستمرة، فهل يكتب لهذه الدولة النجاح والبقاء في ظل رفض الإقليم، والمجتمع الدولي لها؟

إذا تركنا الإقليم والمجتمع الدولي، وتأملنا الوضع السوري في أماكن سيطرة التنظيم نجد قسماً لا بأس به يؤمن ببقاء الدولة بدليل توسع التنظيم على أيد سوريا بعد أن كان عدد السوريين محدوداً، واستطلعنا آراء شريحة من السوريين في هذه المناطق فكانت إجاباتهم متنوعة تعكس حالة الارتباك والحيرة التي يعيشها الشارع السوري:

الشيخ ن ج: لا أعتقد أن الدولة الإسلامية ستعمر طويلاً، فالتشدد الذي يمارسونه سيؤدي إلى رفض الشارع لهم، الشارع مأخوذ الآن بالعاطفة الدينية، ومبهور بالشعارات الرنانة ضد النظام وإيران، وأسهمت معارك التنظيم الأخيرة ضد النظام في ذلك، وهذا الرفض الذي سيحصل سيكون بداية النهاية لهم، إلا إذا خفف التنظيم من تشدده فإن الموازين ستختلف.

م ع بائع خضار: أعتقد أن دولة التنظيم ستبقى، انظر إلى قوتهم، وبسالة مقاتليهم، من يستطيع أن يقف بوجه مؤمنين يريدون الموت، ويطلبونه؟!

أ ب معلم مدرسة: أظن أن الدولة الإسلامية باقية لفترة طويلة جداً، فهم يؤسسون بشكل صحيح، ويتخذون إجراءات تدل على ذلك، إضافة لعدم رغبة المجتمع الدولي، وعدم استعداده لمحاربتهم في سوريا، وهنا يكمن السبب الرئيس لبقائهم.

أبو مهند مقاتل سابق في الجيش الحر: اعتزلت القتال لأننا كنا نُباع ونُشترى من قبل الدول العربية والأجنبية، فهم يدعموننا من أجل حساباتهم السياسية لا من أجل نصرة ثورتنا، وبرأيي هذا أسهم بنجاح التنظيم، وانضمام الكثير من رفاقي لصفوفه.

خ ك: لا أعتقد أن التنظيم سيبقى طويلاً، فلا يسمح بتنظيم أيديولوجي التمدد بجوار إسرائيل، لأن بقاءه يعني تخريج مئات الآلاف يؤمنون بفكره، وهذا ما لا يسمح به الغرب، وفي مقدمتهم أمريكا، فالتنظيم مسموح به مؤقتاً فقط، لفترة يريدها الغرب لأهداف يريدونها هم.

محمد صاحب محل تجاري: إن التنظيم يعمل ليلاً نهاراً للتمكين في مناطق سيطرته، فقد طلب من العشائر مبايعته، وتمت له البيعة من أغلب العشائر، وفتح باب التوبة لكل من قاتله، أو كان في صفوف الجيش الحر، يراجع التنظيم ويسجل اسمه ويعتزل قتال الدولة الإسلامية ويعفى عنه مباشرة، ونتيجة هذه الاستتابة سيضمن سيطرة مطلقة في مناطق سيطرته، وعندما يمتلك الشعب والأرض ولديه سلطة، بهذه الحال اصبح دولة ذات سيادة رغم الخوف من المستقبل الضبابي.

محمود طالب جامعي: هم سلطة، ولا يمكن أن يكونوا دولة، ويمارسون التسلط للوصول لسلطة مطلقة لا ينازعهم فيها أحد، فليس لديهم قدرة على الإدارة، كما وليس لديهم خطط للتعليم، وليس لديهم رؤية للدولة.

ن ب:التنظيم فيما أرى لن يبقى لأنه يقوم على فكرة الحرب الدائمة، مما يعني عدم الاستقرار وعدم بناء دولة، هم يصلحون حركة ثائرة متجولة، ولا يصلحون لدولة.

أحمد تاجر: التنظيم لم يتدخل بالتجارة والسوق، ولم يفرض قوانين جائرة ولم يأخذ إتاوات من التجار، بالإضافة لذلك حقق الأمن الذي فقدناه لفترة، فاليوم نحن نأمن على أنفسنا وتجارتنا في ظل تنظيم الدولة، ولكن يعلم القاصي والداني أن الغرب سيعمل على محاربة التنظيم ويستخدم أبناءنا في قتالهم، ليس حباً بنا وإنما كرهاً بالإسلام، وحماية مصالحه في المنطقة والعالم.

وجدنا في عيون من نسألهم الحيرة والتردد، فكأنهم يجيبون بما لا يعلمون، وحق لهم ذلك فما يجري في سوريا لم يعد مبنياً حصراً على الإرادة السورية بعد أن جعل الأسد سوريا نهباً للدول، وساحة لتصفية الصراعات والحسابات.

لكن المنصف يرى بوضوح تمدد التنظيم وسيره بخطى واثقة نحو بناء الدولة، فأغلب عناصره الآن من السوريين، وهم في ازدياد مضطرد، كما أن التنظيم والتخطيط العسكري والمدني سمة واضحة، فقد سيطر التنظيم على السدود وآبار النفط، وصوامع الحبوب، وكل منابع الثروات والموارد، وعندما كان متواجداً في حلب المدينة أجرى إحصاء لكل المنازل في الأحياء المحررة ورقّم الشوارع، وقام من هذه الناحية بما عجز النظام عن القيام به على مدى أربعين سنة، وكان ذلك تحت الإدارة العامة للخدمات الإسلامية، وهو يفعل ذلك الآن في المناطق التي يبسط سلطانه عليها.

أنشأ التنظيم مكاتب لشكاوى المواطنين، بما يتعلق بكافة متطلبات المواطن، ولعلّ سر نجاح التنظيم يكمن بتطبيق مبدأ المحاسبة الذي أجراه على منتسبي التنظيم قبل غيرهم، فبناءً على شهادات أشخاص دخلوا معتقلات التنظيم نتيجة مخالفات بسيطة (التدخين، كشف زوجته عن وجهها،...) أفادونا أن نسبة المعتقلين من أبناء التنظيم تزيد عن 35% من نسبة المعتقلين.

التنظيم والتخطيط أساس النجاح، استطاع التنظيم تأمين الخدمات المدنية إلى جانب عمله العسكري، فاستطاع في الأماكن التي سيطر عليها تأمين الخبز والماء، والكهرباء إلى حد ما، واستطاع أن يحقق أهم شيء يحتاج له المواطن زمن الحرب، ألا وهو الأمان، فلاحق اللصوص وقطاع الطرق والمجرمين.

ومما يؤسف له أن الكثير بات مقتنعاً أن حجم المؤامرة على الشعب السوري كبيرة، وأنه لن يسمح للسوريين بناء دولتهم التي خرجوا في منتصف آذار 2011م يحلمون بها، وقدموا من أجلها تضحيات لا تعد ولا تحصى، فهل كان هدف المؤامرة كسر إرادة السوريين، وجعلهم يرضون بأي شيء تقرره القوى الدولية وترسمه لهم بدءاً من شكل الدولة، وليس انتهاء بالسيطرة على قرارها وخطها السياسي، وكل ذلك لوقف الربيع العربي الذي أريد له الموت في سوريا.

ما قبل عرســـــال وما بعدها

■ فيكتوريوس بيان شمس

تصاعدت الأحداث الميدانية منذ بداية شهر آب في بلدة عرسال البقاعية اللبنانية، لتُنبئ بنقل الصراع الدائر على الأراضي السورية، والذي أقحم "حزب الله" نفسه فيه إلى لبنان.

يعتبر لبنان بنية مأزومة توحّد عدّة أطراف متناقضة، فاصطفافي "8، و 14 آذار" يُعبّران عن حالة الانقسام الحادّة في البلاد، والتي ابتدأت منذ مقتل رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري في 14/ شباط/ 2005. والاصطفافين يحملان في داخلهما الكثير من الانقسامات والتناقضات التي تتفاوت حدّتها بين تنظيم وآخر.

تتغير التحالفات في هذه البنية بناءً على تغيّرها في الخارج، وهي تحالفات قد تُجبر الأخصام على التعايش والتأقلم مع بعضهم بعضاً في شروط معيّنة، وبأجواء حذرة، هي السمة الغالبة في العلاقات السياسية بهذا البلد. كأن تجمع حكومة واحدة، أو مجلس نواب واحد، "العميل" و"المقاوم" معاً، فيتزاملان، ويعملان معاً على حفظ التوازن الدقيق/ الهش في البلاد. لكنه قد ينفجر في شروط أخرى، وتفتح البلاد على احتمالات وآفاق مأساوية قاتمة.

تُعبّر صيغة "لا غالب ولا مغلوب" التي ابتدعها الرئيس اللبناني السابق فؤاد شهاب في العام 1958، والذي جاء من المؤسّسة العسكرية، عن البدايات الدائمة التي تضمن عدم طغيان فئة على أخرى، أو عدم استئثار طائفة دون سواها بالسلطة. لكن ثباتها في السياسة شيء، وفي الميدان شيء آخر. فمجيء ميشال سليمان رئيساً للبلاد في ظروف في غاية السوء بعد أحداث نهر البارد و اقتحام "حزب الله" لبيروت يعني أن حسابات الحقل شيء وحسابات البيدر شيئاً آخر. أي أن هيمنة طرف ما، هو ما كرّس من حيث الشكل على الأقل صيغة "لا غالب ولا مغلوب" في المرحلة الحالية، وهي المرحلة التي تعتبر استمراراً لما أنتجته الحرب الأهلية اللبنانية السابقة (1990-1975)، والتي سمحت لـ "حزب الله" أن يحتفظ بسلاحه شريطة حصرية استخدامه ضد العدو الصهيوني، وهو ما التزم به الحزب حتى تاريخ اقتحامه بيروت في 7/ أيار/ 2008.

في أواخر الشهر الذي اقتحم فيه "حزب الله" بيروت، انتُخب قائد الجيش العماد ميشال سليمان رئيساً للجمهورية بعد تسوية "الدوحة"، وهو الذي قاد المعارك الدامية ضد ما يُسمّى منظمة "فتح الإسلام" في مخيم "نهر البارد" للاجئين الفلسطينيين، والتي هرب أغلب قياداتها، ليُكشف لاحقاً أنّهم اعتقلوا في سوريا. كانت النتيجة تدمير المخيم وتهجير سكّانه.

الجيش اللبناني هو المؤسّسة التي ترمز لـ "الوحدة الوطنية" بالنسبة للغالبية العظمى من اللبنانيين، رغم الانقسامات التي طالته في فترات سابقة، كانشقاق أحمد الخطيب في بدايات الحرب الأهلية 1975 الذي أسّس ما عرف وقتها بـ "جيش لبنان العربي"، ثم تلاه انشقاق العميد عزيز الأحدب 1976، وفي نفس المرحلة تأسّس على أنقاضه في الجنوب جيش من العملاء عرف وقتها باسم "جيش لبنان الجنوبي" أسّسه الرائد سعد حدّاد.

هذا يعني أن الجيش اللبناني، كباقي مؤسّسات بلاده، قابل للانقسامات والانشقاقات على أسس مذهبية وفئوية. لكن الوعي الجمعي اللبناني يأبى إلا أن يعتبره رمزاً لوحدته الوطنية رغم خضوعه لمبدأ المحاصصة الطائفية أسوة بباقي مؤسّسات البلاد، ورغم قابليته، بحكم تاريخه، على التشرذم والتشظّي، وهو ما يذكّر بالضبط بما حصل في سوريا عندما بدأت الانشقاقات تطال الجيش السوري، فقوبلت بالاستهتار والاستخفاف من أطراف سورية ولبنانية مؤيّدة للنظام، لينتهي الجيش إلى ميليشيات طائفية تُدار من خارج الحدود، لا بل أصبحت ميليشيات "حزب الله" تتعاطى معها بنديّة على أرضها المفترضة بعد تدخّله لأسباب طائفية أعلنها الحزب نفسه، وهي الأسباب التي بدأت تلقي بظلالها على لبنان بأزمات متنقّلة من الجنوب إلى الشمال، لتنتهي في بلدة عرسال البقاعية بعد تكبّده خسائر هائلة في معارك منطقة القلمون السورية، خاصة بعد اضطرار الميليشيات العراقية لسحب أعداد هائلة من عناصرها إلى بلادها بعد هيمنة "داعش" على الموصل وعدّة مدن عراقية أخرى، فكانت هذه البلدة العقدة التي ستحقّق لـ "حزب الله" عدّة أهداف دفعة واحدة:

التعويض عن خسائره في القلمون بفتح معركة جديدة على أرضه، يشد فيها الوتر المذهبي، خاصة وأن هنالك عدّة تقارير تتحدّث عن بدء التململ في حاضنته الشعبية بسبب خسائره البشرية الفادحة.

تسويق قائد الجيش أو ما يُعادله لموقع رئاسة الجمهورية.

ردع عرسال وغيرها من المدن اللبنانية المؤيّدة لثورة الشعب السوري.

تشتيت النازحين السوريين، وربمّا إنهاء وضعهم بترجمة لنوايا الفريق الذي ينتمي إليه وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل، والذي اقترح قبل فترة إنشاء مخيّمات على الأراضي السورية للتخلّص منهم.

مع الهجوم على عرسال ظهرت عنصرية غير مسبوقة تجاه النازحين السوريين عبرّ عنها بعض الإعلاميين، وهي عنصرية لا تجد تفسيرها الحقيقي إلا على قاعدة احتدام وتصاعد الأجواء الطائفية في المنطقة، والتي ساهم "حزب الله" بتأجيجها عبر كل ممارساته طوال فترة السنتين الماضيتين. تُرجمت هذه العنصرية التي وصلت إلى ذروتها بالتزامن مع أحداث عرسال بعدّة اقتحامات لبيوت اللاجئين السوريين بشكل مُذل، نفّذتها مجموعات تابعة لحركة "أمل" في عدّة مناطق تحت سيطرتها في بيروت، كما قامت بعض الأجهزة الأمنية وميليشيات حزبية متحالفة مع "حزب الله" بذات الشيء في منطقة الأشرفية وغيرها.

حقيقة واحدة تفرض نفسها في هذا السياق: حزب طائفي، زجَّ بجيش بلاده في مواجهة سيدفع الثمن فيها النازحين الهاربين من جحيم الموت. حدث هذا في لبنان، سواء بأحداث مخيم نهر البارد 2007، أو عرسال 2014. وفي الحالتين كان النازحون هم الضحية، وكان الجيش يلقى التفافاً شعبياً، هو في الحقيقة، التفافٌ على الشعب المنقسم مللاً وطوائف، بحيث يعيد النظام إنتاج نفسه من خلال مجزرة يرتكبها بالغرباء/ النازحين.

ما يفعله الجيش اللبناني، سبقه إليه الجيش السوري في تدمير المدن والمخيمات الفلسطينية على رؤوس ساكنيها، وسبقه أيضاً بالانهيار.

«دابق»: توضيح استراتيجية (الخلافة) واستقطاب الشباب للجهاد

■ ميشيل دبليو إس راين *- ترجمة وإعداد البديل:

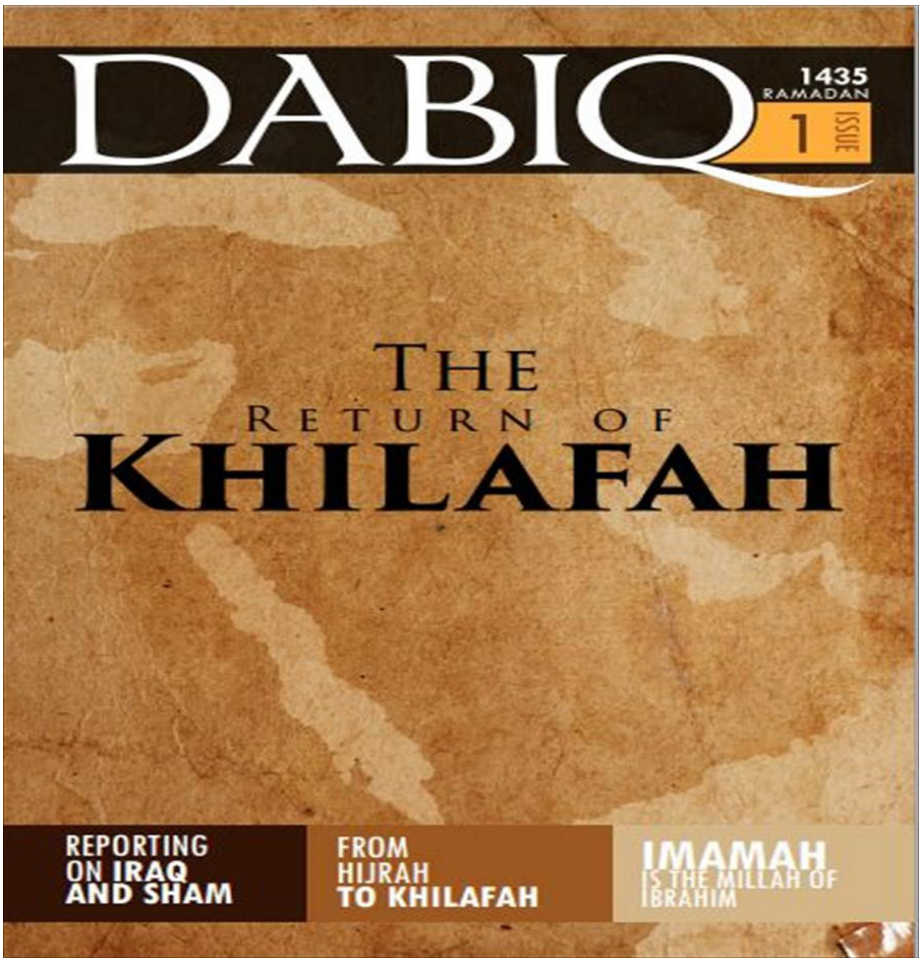

في اليوم الأول من رمضان (28 حزيران الماضي)، أعلن تنظيم "داعش" دولة إسلامية جديدة هي دولة (الخلافة). وبهذه المناسبة، وصف أبو بكر البغدادي نفسه بالخليفة إبراهيم، وكانت السرية المعهود من قبل "داعش" في عدم الإعلان المسبق عن خطبة البغدادي في الموصل لإعطاء الخطبة وقع المفاجأة، قبل نقل البغدادي مرة أخرى إلى الاختباء، وقد تناولت خطبة البغدادي في ما يمكن توقعه من الدولة الإسلامية.

نشر العدد الأول من مجلة الدولة الإسلامية الرسمية، "دابق"، وذهب إلى مزيد من التفاصيل حول اتجاه الدولة الإسلامية الاستراتيجية، وطرق التوظيف، والاستراتيجية السياسية والعسكرية، والتحالفات القبلية، وسبب المخاوف السعودية من كون المملكة يمكن أن تكون الهدف التالي لدولة "الخلافة".

نشرت المجلة في العديد من اللغات الأوروبية، بما في ذلك اللغة الإنجليزية، والمجلة لديها العديد من الأغراض. الأول هو أن تدعو المسلمين إلى مساعدة الخليفة الجديد. المجلة التي تضم 50 صفحة من الصور الملونة، والرسوم التوضيحية، تتمتع بدهاء النص، وتروي قصة نجاح الدولة الإسلامية في كسب تأييد القبائل، بالإضافة إلى التقارير على نجاح عملياتها العسكرية الأخيرة، وتشتمل على صور حية من عنفها ضد الشيعة، وتشرح وتبرر طبيعة الخلافة، ونواياها، وشرعيتها أي الخلافة على امتلاك السلطة السياسية والدينية على كل المسلمين.

في جميع أنحاء التلميحات التي شيدت بعناية، مجلة تناشد بمهارة أتباع الجماعات الجهادية الأخرى، بما في ذلك منتقديها من أتباع الجماعات الجهادية الأخرى، والأتباع المحتملين في شبه الجزيرة العربية. وآخر الأغراض المهمة من "دابق" هو توظيفها في خدمة إقامة الدولة الإسلامية الكونية، وقد اعتمدت في ذلك على أدبيات إسلامية، ومنها مرويات عن الرسول محمد، ونبوءات، والتكتيكات الحديثة التي أخذت من أدبيات السلفية الجهادية. ويعزى جزء استراتيجي من هذه الرسالة إلى الزعيم الأصلي للتمرد الجهادي إبان الاحتلال الأمريكي للعراق، أبو مصعب الزرقاوي. والمقصود من هذا المزيج هو التقاط خيال المحاربين الشباب، وحثهم أن يأتوا للجهاد من أجل دولة إسلامية.

وهذا العرض لن يحل مجموعة من التحديات التي تواجه الدولة الإسلامية، ولكن ربما سوف يساعد على جذب المزيد من الأتباع الشباب، فضلا عن إثبات أن البغدادي ومستشاريه قد وضعوا خطة جدية.

"دابق": رمز هرمجدون

جاء غلاف مجلة "دابق" بعنوان "عودة الخلافة"، واسم "دابق" مأخوذ من اسم منطقة تدعى دابق في الريف الشمالي من حلب. وذكر في هذا المكان في أحاديث ملحمية عدة، وهو في اللغة الإنجليزية يدعى "هرمجدون"، ويشير في الأدبيات الكلاسيكية إلى آخر المعارك التي ستقوم بين المسلمين واليهود.

هذه النبوءة استخدمها أبو مصعب الزرقاوي، ومفادها أن النصر الموعود في "دابق" سوف يكون الخطوة الأولى في غزو العالم، والتي يرمز لها بالهزائم المتوقعة من "القسطنطينية" وثم "روما".

وفي التقليد المروع، فإن عيسى بن مريم (يسوع المسيحية) سوف ينزل بالقرب من دمشق لقيادة الجيش القادم من "المدينة المنورة" في المملكة العربية السعودية.

وبواسطة هذا الايمان بالآخرة في مثل هذا المكان البارز، تحاول مجلة "دابق" ربط الدولة الإسلامية والخليفة الجديد بأهداف كونية، ومن الواضح أنه هذا الأمر هو نداء رومانسي من أجل تجنيد شبان يبحثون عن سبب.

وضعت "دابق" بعناية رموزها التي من شأنها أن تكون ذات مغزى للجهاديين، وعلى سبيل المثال، استخدام مصطلح يعني "ملة إبراهيم" وهو عنوان كتاب للمنظر الجهادي الأردني أبو محمد المقدسي، وصدر في عام 1984. وكان المقدسي مدرساً سابقاً لأبو مصعب الزرقاوي، ولكن العلاقة بين المقدسي والزرقاوي اختلفا بسبب العنف المفرط الذي استخدمه الزرقاوي ضد المسلمين. وفقا لذلك، لم يكن المقدسي من مؤيدي "داعش"، ولكن يدعم أيمن الظواهري والقاعدة بدلاً من ذلك، وباستخدام هذه الإشارة في أول عدد تطرحه "داعش"، فمن الأرجح أن الدولة الإسلامية تحاول مناشدة أتباع المقدسي والمعجبين به.

من بين أمور أخرى، وكتاب المقدسي، وملة ابراهيم، تهاجم المجلة المملكة العربية السعودية، وذلك لاستمالة شباب سعوديين من أعضاء "القاعدة" في شبه جزيرة العرب.

تؤكد "دابق" أن الدولة الإسلامية هي مرادفة لدولة "الخلافة". لتحقيق هذه تحاول التأكيد على أن الأغراض الرئيسية في الدولة الإسلامية هي استعادة كرامة المظلومين وإنهاء إذلال المسلمين، وهو موضوع يستخدم باستمرار من قبل الدعاية الإعلامية لتنظيم القاعدة كذلك. وتؤكد الدولة الإسلامية أن دولة "الخلافة" هي مكان لجميع الأجناس والجماعات العرقية والقوميات للقتال معاً كأخوة.

ويسرد أحد التقارير أسماء المجموعات القبلية في سوريا التي حضرت مجالس الدولة الإسلامية، موثقة ذلك بالصور، حيث يجلس أحد شيوخ العشائر في منتدى بين عدد من الشبان مبايعاً الدولة الإسلامية وخليفتها البغدادي. ووفقاً للمجلة، أكد ممثل الدولة الإسلامية أنه يريد مساعدة القبائل، وأراد ممثل الدولة الإسلامية أيضاً الاستماع إلى نصائحهم، والاستجابة لاهتماماتهم، ومخاوفهم، والرد على تلك المخاوف بأن الدولة الإسلامية ستقوم بعدد من الإجراءات، ومنها إعادة الأراضي إلى أصحابها الشرعيين، وضخ الأموال لتأمين الخدمات للسكان، وتحقيق الأمن والاستقرار، والحد من الجريمة، وتوفير المنتجات الاستهلاكية في الأسواق.

وفي الصفحات الخيرة من المجلة، يتحول النقاش إلى استراتيجية الدولة الإسلامية وتكتيكاتها، وكيف يمكن أن تساعد الشباب في النضال العالمي من خلال الهجرة إلى دعم الخليفة في كفاحه لتوطيد وتوسيع الدولة الإسلامية.

وتدعو المجلة العلماء والقضاة والشعب والعسكريين وأصحاب الخبرات الإدارية وغيرها، مثل الأطباء والمهندسين للمجيء إلى الدولة الإسلامية.

باحث في مؤسسة جيمس تاون

هل نقـــول وداعـــاً للـقـاعـــدة؟

■ حكم عاقل

بالرغم من الضربات الجوية الأميركية الأخيرة والمحدودة ضد تنظيم "داعش"، والتي سهمت في فك الحصار عن جبل سنجار شمالي العراق، حيث احتشد اللاجئون الإيزيديون، لا تزال "داعش" تتقدم تحت الأرض جنوب بغداد عبر أنفاق حفرت منذ أيام الرئيس العراقي صدام حسين. والآن تحتشد قواتها على بعد 122 كم من بغداد عند بلدة قرية "تبه"، مما ينذر بتوسع جبهة المعركة مع "البشمركة" الكردية. أما في سوريا فتتوغل في حلب مسيطرة على قرى عدة على الحدود التركية السورية. ويكاد لا يخلو مكان في المنطقة شرقا وغربا، و شمالا وجنوبا، إلا ولـ "داعش" فيه نصيب، فأعلنت مؤخرا السلطات المغربية بالتعاون مع الاستخبارات الإسبانية القبض على خلية تجنيد لصالح "داعش".

اللافت في خضم هذه الاحداث الميدانية، ثناء أحد أبرز قادة تنظيم "القاعدة" إبراهيم الربيش على ما يحققه المسلمون من انتصارات في ساحات الجهاد لاسيما في العراق، إذ تقوم "داعش" بواجبها الشرعي في قتال "الروافض" الذي وصفه الربيش بـ "الواجب الشرعي الملزم". الربيش أبرز المنظرين الأيديولوجيين لما يعرف بتنظيم "قاعدة الجهاد في جزيرة العرب" والذي هو نتيجة لاندماج فرعي القاعدة في السعودية واليمن في العام 2009، تجنب ذكر أمير المؤمنين الجديد أبو بكر البغدادي كي لا يعني ذلك اي نوع من المبايعة أو الولاء له. لكن هل يعني هذا "الثناء" عودة للود بعد قطيعة بين "داعش" و"القاعدة"؟

لم تكن العلاقات بين تنظيم القاعدة في العراق والقاعدة الأم ودية دائماً، فلم تخلُ تلك العلاقة من شوائب، لاسيما في ظل انتقادات الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي في العام ،2005 وإبدائه عدم الرضا عن العنف المفرط الذي مارسه الزرقاوي في العراق ضد المدنيين الشيعة. مع ذلك ظل ولاء الزرقاوي للظواهري أمراً خارج دائرة الشكوك. لكن فرع التنظيم في العراق "الدولة الإسلامية في العراق" التي قادها البغدادي بعد مقتل الزرقاوي كان عليها أن تمتد خارج حدود العراق تماشياً مع رغبة البغدادي نفسه وطموحاته نحو زعامة حركة الجهاد العالمي، تلك الرغبة التي أفصحت عن نفسها منذ أن بدا البغدادي بتشكيل "جبهة النصرة" لتحمل راية الجهاد في سوريا منذ العام 2011، ليغير في نيسان من العام 2013 اسم التنظيم ليصبح "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" ويطالب جبهة النصرة بالانضمام إليها، ثم لينصب نفسه أميراً للمسلمين في تحد جريء لسلطة الظواهري والقيادات التقليدية للـ"قاعدة".

قادة "النصرة" وعلى رأسهم الجولاني رفضوا هذه الدعوة، وأكدوا على ولائهم للأمير الظواهري. وفي 23 أيار من العام نفسه، وجه الظواهري رسالة سرية إلى كل من البغدادي والجولاني لكنها ما لبثت ان ظهرت إلى العلن، طالبه فيها بإسقاط لفظ "الشام" من اسم التنظيم والتزام الساحة العراقية، واعتبار النصرة ذراعاً القاعدة في سوريا، لتبدأ بعدها معركة كلامية وأيديولوجية بين الظواهري والبغدادي، إذ رد البغدادي على رسالة الظواهري بقوله : "باقية في العراق والشام"، و بينما اعتبر الظواهري أن البغدادي مرتد عن البيعة ويجب قتله، اتهم البغدادي من جهته أيمن الظواهري و"القاعدة" باحترامهم حدود سايكس بيكو الاستعمارية، والتي أخذ هو على عاتقه إزالتها. هذه المعركة الايديولوجية سرعان ما تحولت الى قتال ميداني بين "النصرة" وفصائل إسلامية مقربة منها من جهة و"داعش" من جهة اخرى.

لم تكن العراق وسوريا وحدهما ساحة للصراع بين "القاعدة" و"داعش" بل امتد الصراع على السلطة بينهما الى الساحة المصرية. فبينما وجه الظواهري الفصائل التابعة للقاعدة لضرب الاجانب والمنتجعات السياحية وتخريب الاقتصاد المصري، أصر البغدادي على سياسة استهداف الجيش ومراكز الشرطة، كما طالب بخروج الموالين للظواهري، وترك الساحة لأتباعه.

يبدو أن انتصارات "داعش" الميدانية وبروزها كقوة لا يستهان بها في مواجهة من تصنفهم "أعداء" على مختلف نحلهم، واعتمادها على تمويل ذاتي لاسيما بعد سيطرتها على ثروات ضخمة ومستودعات أسلحة، كل ذلك سيزيد من أتباعها ويوسع تحالفاتها. "داعش" استطاعت أن تلعب على الورقة العشائرية في العراق للتغلغل في المجتمع العراقي، أما في المجتمع السوري فإن الصبغة العشائرية الأقل والمحصورة جغرافياً تفسر نجاح "داعش" في مناطق الشمال والشمال الشرقي السوري. واليوم يبدو أن الورقة الطائفية باتت هي الأهم في يد "داعش". أما القاعدة الام فيبدو أنها بعد الضربات الموجعة التي تلقتها في أفغانستان وباكستان ومقتل زعيمها بن لادن وتضييق الخناق الأمني عليها لا تستطيع سوى الاعتماد على أسلوبها ذاته، أي الخلايا النائمة والعمليات المحدودة النطاق، الأمر الذي يعني عدم فاعليتها في حركة الجهاد العالمي، وعدم قدرتها على قيادته، مما تسبب في تراجع شعبيتها.

يبدو أن الصراع بين الظواهري والبغدادي سيتجاوز الزعامة على حركة الجهاد إلى الصراع على زعامة الإسلام السني، الأمر الذي سيزيد من الاحتقان الطائفي في المنطقة. ويبدو اليوم أمام الأمر الواقع، وما باتت عليه "داعش" من منظور موازين القوى، فإن القاعدة الأم ستسعى لاحتواء "داعش"، ويبدو أن تصريحات الربيش الأخيرة تأتي من هذا المنطلق، اذا يستبعد أن تعلن "قاعدة الجهاد في جزيرة العرب" ولاءها للبغدادي، لكن ليس في مصلحة "القاعدة" أن تستمر في صورة العدو لـ "داعش" لاسيما في ظل هذه الانتصارات الميدانية، ولن يكون في مقدورها مواجهة الشعبية المتزايدة لـ "داعش" بين مناصري حركة الجهاد. لذا لابد من تضخيم عدو مشترك يقارب بينهما، وهذا يعني مزيداً من استغلال الورقة الطائفية.

الصراع اليوم على أشده بين أجيال القاعدة، التقليدي الذي يمثله الظواهري، والأكثر راديكالية وعنفا الذي يمثله البغدادي، حتى أنه لم يعد بالإمكان اليوم الحديث عنهما كتنظيم واحد. ويبدو أن الصراع سيحسم لصالح الثاني ومن خلال منطق القوة وحده. فهل سنقول قريبا وداعاً لـ "القاعدة"، دون أن يعني ذلك طبعا الترحاب بـ "داعش"؟

معسكر الفاروق-قندهار

المالكي يتنحى وأمريكا لا تعد بمساعدة كاملة ضد تنظيم «الدولة»

بغداد (رويترز) :

أذعن نوري المالكي اخيرا لضغوط من داخل العراق وخارجه يوم الخميس الماضي، وتنحى عن منصبه كرئيس للوزراء، مما يمهد الطريق لحكومة ائتلافية جديدة يأمل العالم والقوى الاقليمية أن تتمكن من وقف تقدم مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية الذين يهددون بغداد.

وأنهى المالكي ثمانية أعوام من حكمه، وأيّد تعيين حيدر العبادي خلفاً له، وذلك في كلمة تلفزيونية كان يقف خلالها بجانب العبادي، وتحدث فيها عن التهديد الخطير الذي يمثله متشددو تنظيم الدولة الإسلامية الذين سيطروا على مناطق كبيرة في شمال العراق.

وقال المالكي «أعلن امامكم اليوم ولتسهيل سير العملية السياسية ولتشكيل الحكومة الجديدة سحب ترشيحي لصالح الأخ الدكتور حيدر العبادي، وكل ما يترتب على ذلك حفاظا على المصالح العليا للبلاد.»

وإعلان المالكي سيرضي على الأرجح الأقلية السنية التي هيمنت على العراق خلال حكم صدام حسين، لكنها تعرضت للتهميش على يد المالكي الذي كان شخصية غير معروفة نسبيا عندما تولى السلطة عام 2006 بدعم أمريكي قوي.

وقاوم المالكي على مدى شهور ضغوطا من السنة والأكراد وبعض أقرانه الشيعة وإيران والولايات المتحدة للتنحي. وكان يصر على حقه في تشكيل حكومة جديدة وفقاً لنتائج الانتخابات البرلمانية التي اجريت في اواخر أبريل/ نيسان الماضي.

وأثار تشدد موقفه المخاوف من حدوث صراع عنيف على السلطة في بغداد. ولكن مع تراجع التأييد له بشكل واضح أبلغ قادته العسكريين بالابتعاد عن السياسة.

وقال «لقد استبعدت منذ البداية خيار استخدام القوة لعدم إيماني بهذا الخيار الذى لاشك في أنه سيعيد العراق الى عهود الدكتاتورية والقمع والاستبداد إلا في مواجهة الإرهاب والإرهابيين والمتجاوزين على إرادة الشعب ودمه ومصالحه.»

وكان حزب الدعوة الذي ينتمي إليه المالكي أعلن يوم الأربعاء الماضي دعمه العلني للعبادي، وطلب من المشرعين العمل معه لتشكيل حكومة جديدة.

وأعلن الزعيم الأعلى الإيراني آية الله علي خامنئي تأييده الشخصي للعبادي، ونأى بنفسه عن المالكي.

وأشادت مستشارة الأمن القومي الأمريكي سوزان رايس بقرار المالكي دعم العبادي، وأشارت إلى تعهد قطاع واسع من الزعماء من مختلف أنحاء الطيف السياسي العراقي بمساعدة العبادي في تشكيل حكومة لا تقصي أحداً.

وقالت رايس في بيان «هذه تطورات مشجعة نأمل في ان تضع العراق على مسار جديد وتوحد شعبه ضد التهديد الذي يمثله (تنظيم) الدولة الإسلامية في العراق والشام.. وستظل الولايات المتحدة ملتزمة بشراكة قوية مع العراق والشعب العراقي».

ووصف وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قرار المالكي بانه «مهم وجدير بالاحترام»، وقال إن «الولايات المتحدة تقف على أهبة الاستعداد للشراكة مع حكومة جديدة لا تقصي أحداً لمواجهة هذا التهديد» من الدولة الإسلامية.

وقال مسؤول أمريكي إنه فور أن خلص العراقيون أنفسهم إلى ضرورة رحيل المالكي حثت واشنطن الساسة العراقيين على اتخاذ خطوات مثل التصديق على نتائج الانتخابات واختيار رئيس للوزراء لكنه أضاف انها لم تؤيد ترشيحات معينة.

وينظر إلى العبادي على أنه شيعي معتدل، ولديه فرصة جيدة لتحسين العلاقات مع السنة. لكنه يواجه تحدياً يتمثل في إيقاف تقدم مسلحي الدولة الإسلامية الذين اجتاحوا مناطق كبيرة من العراق.

وقبل إعلان المالكي تنحيه، قال محافظ الأنبار، وهي محافظة تمثل معقلا سنيا في العراق، إنه تلقى وعدا بدعم أمريكي في معركة ضد مقاتلي تنظيم الدولة الاسلامية، مما يعيد تحالفاً ساعد في إحباط تهديد سني متشدد سابق من تنظيم القاعدة.

وقال أحمد خلف الدليمي إن طلبه الذي قدم في اجتماعات مع دبلوماسيين أمريكيين وضابط عسكري كبير تضمن دعماً جوياً ضد المقاتلين الذين شددوا قبضتهم على مساحات واسعة في محافظته الصحراوية، وفي شمال غرب العراق.

ومن شأن خطوة كهذه أن تنعش التعاون بين العشائر السنية والسلطات التي تقودها الشيعة، والقوات الأمريكية التي كان لها الفضل في التصدي لتنظيم القاعدة في العراق قبل عدة أعوام.

وقالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية هارف للصحفيين في واشنطن «واصلنا الاجتماع مع عدد من المسؤولين للتحدث بشأن الاحتياجات المطلوبة–الاحتياجات الأمنية– لقتال تنظيم الدولة الإسلامية في كل مكان.»

وسئلت إن كان ما قاله الدليمي صحيحا بأن الولايات المتحدة قدمت مثل هذا التعهد فقالت هارف إنه ليس لديها اي تفاصيل. وأضافت «نجري محادثات بشأن الطبيعة التي يجب أن تكون عليها (أي مساعدة أمنية) في المستقبل لكن لا شيء محدد بخلاف ذلك.»

وقال مسؤول دفاعي أمريكي «لم نبلغ بأي طلب من هذا القبيل ولا توجد اي خطط لدعمهم.»

وقال الرئيس الأمريكي باراك أوباما يوم الخميس الماضي إن القوات الأمريكية التي كانت تنوي إجلاء لاجئين من شمال العراق غادرت المكان بعد أن أدت الغارات الجوية الأمريكية وإسقاط المساعدات إلى كسر «الحصار على جبل سنجار» الذي لجأ اليه الآلاف من أفراد الأقلية الإيزيدية هرباً من المتشددين.

وقال أوباما إن بعض الأمريكيين الذين أرسلوا إلى هناك لإعداد خطط لإجلاء الإيزيدية سيغادرون العراق قريباً.

هذا، وقد عكست التطورات الأخيرة في العراق المخاوف الأمريكية والإيرانية على حد سواء من تمدد تنظيم الدولة الإسلامية، ومخاطر سيطرته لاحقاً على العاصمة بغداد، ويعتبر الكثير من المحللين أن تخلي إيران عن المالكي هو محاولة للحفاظ على جزء من نفوذها في العراق، عوضاً عن خسارة أكبر قد لا يكون من الممكن تعويضها في القريب العاجل، خاصة مع التطورات الدراماتيكية الأخيرة التي تشهدها المنطقة.

المعوّقات الثقافية للحداثة في العالم العربي المعاصر

د. عبد الله تركماني (*)
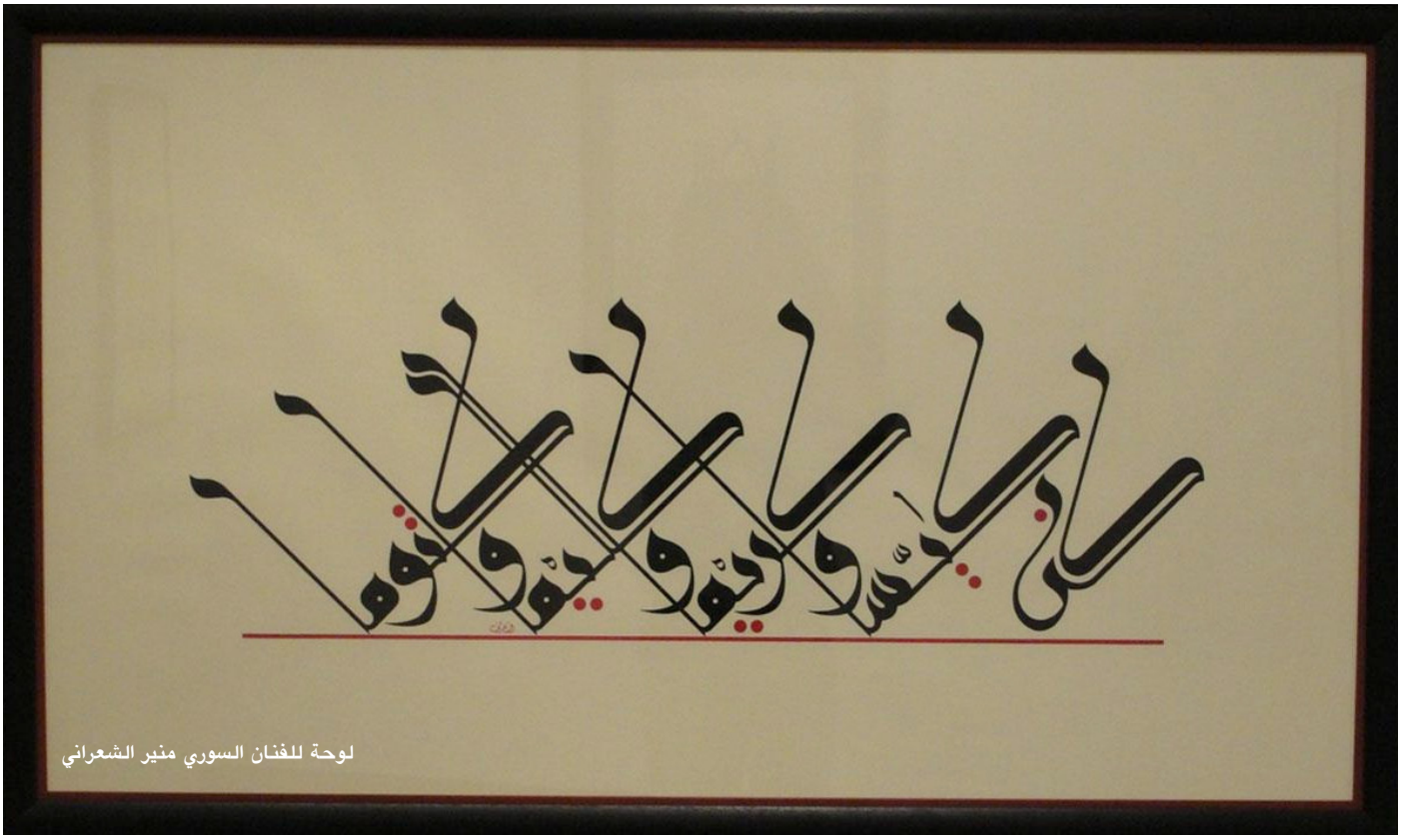
لوحة للفنان السوري منير الشعراني

يبدو أن تفسير التأخر العربي عن طريق المشروطيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لا يكفي، فالعقليات وإن كانت مشروطة بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية، فإنّ لها استقلاليتها الذاتية إلى حد ما. فأحياناً يتغير الواقع المادي دون أن تتغير العقليات، إذ تدخل التكنولوجيا والحداثة المادية والتجهيزات والآلات إلى مجتمع ما وتظل العقليات فيه متأخرة أو تقليدية.

خاصة وأنّ الخطاب الثقافي، في ظل ما تشهده المجتمعات المعاصرة من تحديات وتحولات، هو خطاب الأزمة: فمن جهة، هناك الانهيارات السياسية والأيديولوجية التي أصابت العديد من الأفكار والنظم والمشاريع. ومن جهة ثانية، هناك الطفرات المعرفية التي شهدتها الفلسفة وعلوم الإنسان، والتي أسفرت عن انبثاق قراءات جديدة للحداثة وشعاراتها حول العقل والحرية والتقدم. ومن جهة ثالثة، هناك الثورات العلمية والتقنية والمعلوماتية التي ندخل معها في طور حضاري جديد. ولعلّ أحد أهم ملامح أزمة الخطاب الثقافي المعاصر تكمن في محاولة التعرف على عناصر ومكونات ثقافة العولمة وأدواتها الوظيفية، وكذلك ما تنطوي عليه من قضايا: الثقافة الوطنية، والهوية الحضارية، والخصوصية القومية.

أما أزمة الثقافة العربية المعاصرة فهي جزء لا يتجزأ من أزمة الدولة العربية من جهة. وهي، من جهة ثانية، أزمة بنية ثقافية عربية تندرج في إطار بنية اقتصادية – اجتماعية متوارثة منذ عقود طويلة من الركود والتأخر والتبعية. مما يسمح لنا بأن نطرح السؤال المقلق الذي أثاره الأمير شكيب أرسلان في مطلع القرن العشرين: لماذا تراجع العرب وتقدم غيرهم؟ وتفسير عبدالله العروي لأزمة الثقافة العربية المعاصرة بأنها «اختلال العلاقة بين الوعي والفعل، بين الوعي المنقوص والفعل العاجز، بين التوفيقية الملتبسة وافتقاد القدرة على الحسم» ؟!

وقد أدى كل ذلك إلى تصاعد نزعات التعصب والتطرف، وتزايد عمليات الإرهاب التي تتمسح بالدين، وارتفاع درجة العنف الذي صاحب الدعوة إلى دولة الخلافة، أو صاحب الاتجاهات التقليدية الجامدة التي تصف التحديث بـ «بدعة الضلال المفضية إلى النار». هكذا، رأينا الاعتداء على المواطنين الأبرياء، ورموز السلطة المدنية، وتهديد المثقفين المستنيرين بكل وسيلة ممكنة. وأضيف إلى ذلك تحوّل هذا الإرهاب من إرهاب محلي إلى إرهاب إقليمي ودولي، جعل العالم كله يرى أبشع وجه للإرهاب.

ومن المؤكد أنّ أصحاب نزعة التعصب والعنف لم يدركوا التراث العربي – الإسلامي في كماله وصراعاته واختلافاته وتعدده في تنوعه، ولم يدركوا لماذا كان هناك المعتزلة والأشاعرة، ولكنهم أخذوه كما هو في مظهره السطحي وتضاريسه الخارجية، بسبب غلبة الوعي الأصولي النقلي على تفكيرهم، وذلك على نحو يغدو معه سؤال المستقبل سؤالاً غائباً عن حياتهم وليس عنصراً تكوينياً من عناصرها الحيوية. والنتيجة هي قياس كل شيء على الماضي، والعودة بكل جديد إلى أصل يبرره من القديم، والنظر إلى التغيير في ريبة، وإلى التجديد بعين الاتهام.

في حين أنّ الثقافة التراثية ثقافة متنوعة لا ينبغي أن نأخذها في مظهرها السطحي، وعلينا نحن أبناء القرن الحادي والعشرين ألا نتبنى هذا التراث بطريقة مطلقة، وإنما نتعقله في سياقه التاريخي، وكيف ظهر وانتهى في زمنه، ثم بعد ذلك نضيف إليه بحسب عصرنا وظروفه، وبرؤية عقلانية نقدية، وبذلك يصبح التراث قيمة متحركة، ويخرج عن إطار الجمود أو أن يكون مجرد ماض.

وفي زمن العولمة، فإنّ طبيعة المخاطر المهددة للثقافة العربية لا تتعلق بعمليات العولمة وتداعياتها الثقافية والسياسية والاجتماعية، بقدر ما تتعلق بمدى قدرتها على تجاوز أزمتها، خاصة ما يتعلق منها بالتنمية الشاملة وتوسيع إطار الديمقراطية، وتعزيز مؤسسات المجتمع المدني، وتفعيل قيم الحوار والتعددية، وقبول الرأي والرأي الآخر، وتوفير حرية البحث العلمي، وإنشاء منظومة تربوية تقوم على تأهيل وإعداد كوادر تعليم عالية المهارات، واحترام عقل المتلقي، وتوفير وسائل تمكينه من الاستيعاب الناقد للمعلومات والآراء وإبداع الأفكار، واختصار الزمن في مناهجنا التعليمية، وإطلاق العنان للطاقات الشابة في كل المجالات لكي تفكر وتبدع وتعزز ثقتها بإمكاناتها.

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث " – دبي